(20 فبراير 2006)

البداية القوية

يقول السيد الرب "قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ ذِهَابَكِ وَرَائِى فِى الْبَرِّيَّةِ فِى أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ" (أر 2:2).

كان يقصد أن يقول هذا الكلام لبنى إسرائيل عندما خرجوا من مصر فى برية سيناء وفى صحراء جرداء ليس فيها ماء, وعندما واجهوا البحر الأحمر وخطورة الانحصار بينه وبين جيش فرعون, وبالإيمان ذبحوا خروف الفصح ووضعوا الدم على العتبة العليا والقائمتين؛ وعبر الملاك فى كل أرض مصر وضرب أبكار المصريين.. **بداية قوية**.. خرجوا وعجين الخبز لم يختمر بعد, لدرجة أنهم وضعوه فى ملاءات, وأكلوا خروف الفصح مشويًا بالنار وهم لابسين أحذيتهم متمنطقين وجامعين ما يخصهم. أى أنهم أناس مستعدون للسفر, يأكلون خروف الفصح وهم على وشك الرحيل, والعجين لم يختمر بعد, لذلك فيما بعد أصبحوا يعيدون الفصح ويأكلون فيه فطيرًا وليس خميرًا. كان الموقف جبارًا؛ فبعد أن عاشوا فى هذه الأرض أربعمائة وثلاثين سنةً, فى ليلة واحدة خرج الملايين من شعب إسرائيل. لا يوجد مُخرج يستطيع أن يصوِّر هذا المنظر, وإن استطاع سيصور ألفًا أو ألفين شخص على الأكثر, لكن ستمائة ألف شخصٍ من سن عشرين سنة إلى سن ستين سنة رجالاً فقط!! ومعروف طبعًا أن ذكور شعب بنى إسرائيل قد قُتلوا عند ولادتهم فى فترة معينة أيام موسى النبى الذى كان سنه فى هذا الوقت ثمانين سنةً -لكنه نجا بترتيب إلهى- فكل الذين فى سنِّه ليسوا بموجودين لكن فى مقابلهم توجد إناث, فعدد الإناث كان أكثر من الذكور فى فترة معينة. فيصبح المجموع ستمائة ألف ذكر فى مقابلهم إناث, وغيرهم أيضًا الذين هم أكبر من ستين سنة وأصغر من عشرين سنة, فممكن أن يصل العدد الكلى إلى ثلاثة مليون شخص, يجمعون كل ما يخصهم ويخرجون دفعة واحدة -جيش ضخم جدًا- ليلة لا تُنسى عبر الأجيال.

لهذا يقول "ذكرت لك غيرة صباك محبة خطبتك ذهابك ورائى فى البرية", خروج من أرض عاشوا فيها زمانًا طويلاً, خروج من وسط مجتمع له تقاليد وعادات صارمة (مجتمع المصريين)... جيوش مُسلّحة بمركبات فرعون. خارجون وحولهم مخاطر كثيرة جدًا, خارجون إلى برية وهم لا يعرفون ماذا سيأكلون أو سيشربون فيها, خارجون وكفى. كما كان موسى النبى وهارون يقولان لفرعون *"الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِى إِلَيْكَ قَائِلاً: أَطْلِقْ شَعْبِى لِيَعْبُدُونِى فِى الْبَرِّيَّةِ." (خر16:7).*

**الحماس الذى كان لديهم هو الذى شق البحر الأحمر أمامهم**. حقًا إن التى شقت البحر الأحمر هى عصا موسى النبى لكن الغيرة والحماس الذى كان لدى الشعب شق الماء. لذلك يقول *الكتاب المقدس "وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِى السَّحَابَةِ وَفِى الْبَحْرِ." (1كو2:10).* ونحن نعلم ارتباط المعمودية بالإيمان. عبروا *"وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ." (خر22:14).* أى أن الماء حولهم عاليًا وواقفًا, مَن ذا الذى يخاطر بحياته ويمشى بجانب ماء واقفًا مثل السور؟! مَن مُمسك بهذا الماء؟! لا يوجد حاجز من الزجاج ولا من البلاستيك ولا مبانى ولا شىء على الإطلاق, لكن الماء واقف من هنا ومن هناك وهم يمشون فى منتصفه!. إذًا مَن دخل فى هذا المسار يكون قد قَبِل الموت؛ بمعنى أنه قد وضع فى نفسه أن الموت فى المياه أفضل من الموت فى العبودية أو بسيف فرعون ومركباته وجيوشه. كان لابد لهذا الشعب لكى يصل لأرض كنعان أن **يخرج ببداية قوية**, لأنه إن لم تكن بداية الطريق الروحى بداية قوية, فكيف سنصِل إلى نهاية المطاف؟

عندما يخرج الإنسان من العالم يكون لديه أشواقًا روحية كثيرة, مشتاق لحياة الكمال الروحى, وكمال تنفيذ الوصية, أمامه مجموعة كبيرة من الوصايا قلبه مشتاق لتنفيذها.

الاشتياقات الأولى

كلما يصلى الإنسان المزمور الكبير فى صلاة نصف الليل يقول  *"****اشتاقت نَفْسِى إِلَى اشتهاء أَحْكَامِكَ*** *فِى كُلِّ حِينٍ." (مز119(118) [[1]](#footnote-2): 20)*... يجد الكتاب المقدس يقول له مثلاً *"إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ* ***كَامِلاً*** *فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِى السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِى" (مت21:19), "لَيْسَ أَحَدٌ* ***تَرَكَ*** *بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً لأَجْلِى وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ. إِلاَّ* ***وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِى هَذَا الزَّمَانِ*** *بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً مَعَ اضْطِهَادَاتٍ* ***وَفِى الدَّهْرِ الآتِى الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ****" (مر10: 29 ,30),* أى ليس فقط سيكون له أجرٌ فى السماء. وقال السيد المسيح *"إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِى وَرَائِى* ***فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ*** *وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِى." (مت 24:16).* وأيضًا *"مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّى فَلاَ يَسْتَحِقُّنِى" (مت37:10).*

ويجد الوصية تقول: *"مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخر أَيْضًا... وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ... أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت 39:5-44). أمام كل هذه الوصايا* يجد الإنسان نفسه محتاج قوة داخلية لينفِّذ الوصية. يقرأ فى المزمور: *"طُوبَاهم الذين بلا عيب فى الطَرِيق السَّالِكِونَ فِى ناموس الرَّبِّ. طُوبَاهم الذين يفحصون عن شَهَادَاتِهِ. ومِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ يَطْلُبُونَهُ. لأنِ صانعى الإثم لم يهووا أن يَسْلُكُوا فى سبله. أَنْتَ أَمرت أَنْ تُحْفَظَ وَصَايَاكَ جدًا. فيا لَيْتَ طُرُقِى تستقيم إلى حِفْظِ حقوقكَ" (مز119 (118) : 1-5).*

*الكنز المخفى*

*يسمع الإنسان قول* السيد المسيح *"****مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ****" (مت 12:23). "تَعَلَّمُوا مِنِّى* ***لأَنِّى وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ*** *فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (مت29:11). "****طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ*** *لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ...* ***طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ*** *لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ...* ***طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ*** *لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّه" (مت 5: 3, 5, 8).* فيشعر وكأنه يقول *"****لِكُلِّ تمَامٍ رَأَيْتُ منتهى, أَمَّا وَصِايَّاكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا."*** *(مز 119 (118) : 96)*. متى سأنفَّذ هذه الوصايا كلها؟ متى تكون اشتياقاتى لك أنت ولا يشغلنى العالم عنك؟ متى أقتنى الاتضاع الحقيقى والوداعة الحقيقية؟ متى أتحرر من محبة القنية؟ متى أجد وقتًا ليسبحك لسانى فى كل حين؟ متى أصل إلى حياة الصلاة الدائمة ويشتعل قلبى بمحبتك؟ متى تنشغل أفكارى بك باستمرار, وتصبح أنت الكنـز الذى وجده إنسان فى حقل فمضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل؟ *انظر (مت 44:13).* متى تصبح حياتى كلها صلاة وتسبيح وملائكة وقديسين وسماويات؟ متى أنسى كل شىءٍ فى العالم لكى أتذكرك أنت وكفى؟! يجد نفسه غير قادر على تحقيق كل اشتياقاته وهو فى العالم, فرغبته هى أن يجد وقتًا يجلس فيه مع ربنا؛ يقرأ كلامه ويتأمل فيه, ويلهج فى وصاياه نهارًا وليلاً. عندما يذكر فى المزمور مثلاً *"تَاقَتْ نَفْسِى إِلَى خَلاَصِكَ. وعلى كَلاَمَكَ تَوكلْتُ.كَلَّتْ عَيْنَاى مِنَ انتظارِ أقَوالِكَ قائلتين:* ***مَتَى تُعَزِّينِي؟...كَمْ هِى أَيَّامُ عَبْدِكَ؟***" (مز 119 (118) : 81, 82, 84). يقول لنفسه أين التعزية الروحية؟ أين الهذيذ والثيوريا؟ أين التأمل والدهش؟ أين العقل الذى لا يفكر إلاَّ فى السماويات؟ كما يقول معلمنا بولس الرسول "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ *الْمَسِيحِ* ***فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ****، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّه" (كو 1:3).*

طريق الكمال الروحى

يشعر الإنسان أنه عندما يخرج من العالم ويصل إلى الدير سينطلق من عبودية فرعون ويخرج إلى البرية؛ حتى يعبد اللَّه هناك "*أَطْلِقْ شَعْبِى لِيَعْبُدُونِى* ***فِى الْبَرِّيَّةِ****" (خر16:7).*

يشعر أنه فى الدير سيستطيع أن يسير فى طريق الكمال *"طُوبَاهم الذين* ***بلا عيبٍ فى الطَرِيق السَّالِكِونَ فِى ناموس الرَّبِّ****... بِمَاذا يُقوم الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ أقوالكَ"* (مز 119 (118) : 1, 9). فبداية الطريق الروحى لحياة الرهبنة هى أن الإنسان يريد أن يصل إلى الكمال الروحى ونقاوة القلب, نقاوة الفكر، نقاوة الحواس, يريد أن تصبح أفكاره سماوية, يريد التحرر من كل الشهوات الموجودة فى العالم, يريد الإنتصار على محاربات الشياطين, يريد أن يقتنى الاتضاع كقول القديس الأنبا أنطونيوس: **[الطاعةوالمسكنة يخضعان الوحوش لنا][[2]](#footnote-3),** ويريد تطبيق وصية السيد المسيح "*تَعَلَّمُوا مِنِّى لأَنِّى* ***وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ*** *فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُم*" (مت 29:11), يريد الانتصار على كل محاربات الشياطين, عن طريق **حياة الاتضاع والمسكنة بالروح التى هى الطريق الآمن نحو الملكوت** "*طُوبَى* ***لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ*** *لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ*" (مت3:5)... يريد **التحرر من ذاته** التى تريد التمجيد والكرامة, وتريد أن تُثبت وجودها... يريد أن يعانق الصليب ويصبح تلميذًا حقيقيًا للسيد الرب لأنه قال: "*إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِى وَرَائِى* ***فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي****" (لو 23:9), "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِى إِلَى* ***وَلاَ يُبْغِضُ... حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِى تِلْمِيذًا****" (لو 14: 26).* لا يهمه ماذا يقول عنه الآخرون؛ لأنه لو أراد مجد الناس لكان قد مكث فى العالم, ولا تهمه نظرة الرهبان له فى الدير. فهو يحب أن **يخفى فضائله الروحية**, لأن عروس النشيد مكتوب عنها *"أُخْتِى الْعَرُوسُ جَنَّةٌ* ***مُغْلَقَةٌ*** *عَيْنٌ* ***مُقْفَلَةٌ*** *يَنْبُوعٌ* ***مَخْتُومٌ****" (نش12:4),* لا يهمه مدح أحد لعمل يديه أو ممارساته الروحية, لكن يريد فعلاً التحرر من السُبح الباطل والمجد الباطل ومديح الناس؛ ولذلك يهرب من الدينونة (إدانة الآخرين)؛ لأنه يعتبر أن الكل أفضل منه, ويقول لنفسه: إنى لا أستحق أن أحيا فى وسط هؤلاء القديسين, والآباء قالوا إن: [الحكيم ينظر إلى فضائل غيره ليقتنيها والجاهل ينظر إلى نقائص غيره ليدينه عليها].

الانطلاق إلى البرية والانحلال من الكل

الراهب هو إنسان خرج من العالم حتى **ينسلخ من الكل ويرتبط بالواحد**. فلم تعد تهمه الأخبار, إنسان مات عن العالم, لماذا يبحث عن الأخبار؟ هو ترك الصحف ونشرة الأخبار, إنسان يريد أن ينسى كل الناس, ينسى كل شىءٍ, ينسى العالم وما فيه.. العالم الذى خارج الدير وأيضًا العالم الذى بداخل الدير.

منهج الإنسان فى حياته الرهبانية

لهذا فبداية الطريق الروحى مهمة جدًا. بمعنى ماذا سيكون منهج الإنسان فى حياته الرهبانية؟ هل سيعيش حياة المسكنة بالروح وتكون هى بداية الطريق؟ حيث إن عبارة "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات" هى أول عبارة فى الموعظة على الجبل. هل سيعيش **حياة الاحتمال وحياة الصبر؟** *"الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخ وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا...* ***وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ*** *وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ*" (1كو 13: 4, 5, 7). يضع لنفسه منهجًا روحيًا لكى يقتنى جميع الفضائل الروحية, ولا تُبنى فضيلة على حساب فضيلة أخرى. بمعنى, لا يصح أن شخصًا يريد اقتناء فضيلة الصلاة الدائمة فيبنيها على الكبرياء (الكبرياء الروحى), وكيف يأتى الكبرياء؟ يقول مثلاً: إنى أريد اقتناء فضيلة الصلاة الدائمة فيدخل الدير, وإذا كلمه أحد الرهبان يُسكته أو يشير إليه بعدم الكلام, هو بذلك يكون قد بحث عن الصلاة الدائمة بينما أضاع الاتضاع. ولذلك يقول القديس أبو مقار: **[فروا يا إخوة, فقال الإخوة: أيها الأب كيف نهرب أكثر من مجيئنا إلى البرية؟.. فوضع يده على فمه وقال: من هذا فروا[[3]](#footnote-4)].** أى فروا من اللسان, أى يهرب من كثرة الكلام, لكن لا يتعجرف بالصمت. فبدلاً من أن يقول الراهب لمن يكلمه: {أسكت ولا تتكلم}, يقول له: {أخذنا بركة, اذكرنى فى صلاتك}, ينسحب بتواضع وبهدوء, لكن **لا توجد فضيلة تُبْنَى على حساب فضيلة أخرى**, وقد نجد إنسانًا ضميره يمدحه قائلاً: إننى أطبَّق فضيلة الهروب من تضييع الوقت, ولكن هل هذا عن طريق العجرفة؟! ممكن أن يقتنيه بالاتضاع. راهب ثرثار يتكلم كثيرًا, وشخص مازال مبتدئًا يريد السير فى طريقه ولا يُضيِّع الوقت, ممكن أن يقول له: {يا أبونا أنا أخذت بركة كبيرة أنى قابلت قدسك اليوم. ياريت تذكرنى فى صلاتك لأنى مسكين جدًا وغلبان وحالى ملخبط, بعد إذن قدسك لأنى مش عارف أصلى}, ينسحب بطريق متواضع وليس بطريق متعجرف. أو مثلاً راهب كبير فى السن يسير وهو يحمل حملاً ثقيلاً, فيعبر الآخر مقابله مثلما عبر الكاهن واللاَّوى على الرَجُل الجريح ثم أتاه السامرى الذى أرسله للفندق. يعبر مقابله ويقول: {أنا ليس لى شأن بما يحمله}, لكن فى طريق الرهبنة الفضائل لا تتعارض مع بعضها, فضائل التواضع والمحبة فعندما يرى راهبًا يحمل حملاً ثقيلاً فيقول: {بعد إذن قدسك, سآخذ بركة حملها, فأنا لا أستحق} ويوصَّله عند قلايته بالحِِمْل الثقيل. فإن قال له: {انتظر يا أخ فلان؛ إنى أريد أن أكلمك فى موضوع}, فيقول له: {يا أبونا أنا لا أفهم شيئًا أنا مسكين جدًا, سامحنى واذكرنى فى صلاتك؛ لأن حالى ملخبط}, لكن لا يقول: {اسكت ولا كلام!}. ما هذا؟ هل هذا هو الطريق الروحى؟ قد يأتى أخ إلى الدير ويعتقد فى نفسه أنه سيُعلِّم الرهبان حياة الرهبنة وهو مازال مبتدئًا!! كل ما هنالك أنه قرأ كلمتين فى بستان الرهبان فيعتقد أنه نازل من السماء.

السيد المسيح هو الأساس

البداية لابد أن تكون على أساس سليم ومعلمنا بولس الرسول تكلَّم عن الأساس الذى نضعه وهو السيد المسيح الذى هو الأساس فى البناء الروحى, فيقول *"فَمَنْ هُوَ بُولُسُ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى لَكِنَّ اللَّه كَانَ يُنْمِى. إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِى بَلِ اللَّه الَّذِى يُنْمِى. وَالْغَارِسُ وَالسَّـاقِى هُمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ. فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللَّه وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللَّه بِنَاءُ اللَّه. حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّه الْمُعْطَاةِ لِى كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا وَآخَرُ يَبْنِى عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِى عَلَيْهِ.* ***فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِى وُضِعَ الَّذِى هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ*** وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدُ يَبْنِي عَلَى هَذَا الأَسَاسِ ذَهَباً فِضَّةً حِجَارَةً كَرِيمَةً خَشَباً عُشْباً قَشّاً. فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ*" (1كو5:3-13).* السيد المسيح هو الأساس, إنه هو الصخرة التى قال عنها *"وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِى كَنِيسَتِي" (مت18:16).* لذلك ورد فى سفر إشعياء النبى *"هَلْ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلاَ صَخْرَةَ لاَ أَعْلَمُ بِهَا" (إش8:44),* ويقول المزمور *"الرَّبُّ صَخْرَتِي" (مز2:18).* لابد أن يكون **الأساس الروحى هو السيد المسيح أساس حياتنا الروحية.**

ميناء الخلاص

بداية الطريق الروحى ينبغى أن تكون بدايةً قويةً جدًا, فالإنسان الذى يبدأ طريقه فى حياة الرهبنة لابد أن يبدأه بكل قوة, وطبعًا هذا يتضح مثلاً إن أتى أهله, وسببوا له متاعب كثيرةً ويستطيع أن يصمد أمامها, لماذا؟ لأنه أتى باشتياقات حارَّة شاعرًا أن **الدير هو ميناء الخلاص** بالنسبة له, فتكون لديه قدرة شديدة جدًا على المقاومة. لكن أن أتت إنسانة للرهبنة وعندما يأتى أهلها ويعملون اضطرابًا مريدين أخذها فتذهب معهم؛ تكون بذلك قد فشلت فى بداية الطريق الروحى, وفى امتحان قدرتها على الاستمرار فى حياة الرهبنة, لكن ممكن أن الشيطان يشكَّك الشخص بعد قليل فبعد مُضى أسرته يُتعِب ضميره, ويقول له: ماذا ستفعل والدتك؟ أين يذهب والدك؟ هذه الأشياء كلها معروفة, إنها حرب لابد أن يواجهها الإنسان فى بداية خروجه من العالم, ولذلك قال السيد المسيح *"لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّه" (لو62:9).* ويقول الكتاب المقدس *"اُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!" (لو32:17).* نظرت خلفها فتحولت إلى عمود مِلْح.

الموت عن العالم

**فالإنسان أفضل له الموت عن العالم بدلاً من الموت فى العالم,** ويقول *"حَاشَا لِى أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِى بِهِ قَدْ* ***صُلِبَ الْعَالَمُ لِى وَأَنَا لِلْعَالَمِ****" (غل 14:6).* "صلب العالم لى" تعنى أن العالم بالنسبة لى يُعتبر قد سُمِرَ وليس له أى تأثير, كأنه لا شىء "وأنا صلبت للعالم" تعنى أن *"الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ* ***صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ***" (غل24:5). مستعد أن أحتمل مكاوى يسوع, وأشواك الطريق, والجهاد.. *"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب4:12),* **الجهاد حتى الدم** هو الذى يجعل الإنسان يقول: أنا صلبت للعالم, مستعد لاحتمال أى آلام أو مشقات أو متاعب؛ من أجل الثبات فى الطريق الروحى ويجد العالم أنه ليس له فىَّ شىء, أنا صلبت بالنسبة له, يقول لى: يا فلان, فأرد: فلان مات؛ مصلوب, *"****احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ" (رو11:6).* معناها أن الإنسان "الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ"** (رو 6 :7), مثلما يتبرَّأ من شىء (يتبرى منه), العالم ينادينا فنقول إننا قد متنا. لكن المشكلة لو حاول العالم أن يقفز داخل الدير, هذه كارثة كبرى, إنسان مات عن العالم, هل يقيم نشرة أخبار داخلية فى الدير؟ ولا يكفيه أنه يسعى لمعرفة الأخبار, بل وينشرها أيضًا ويكون كمحطة إذاعة؟!! إذًا أين الرهبنة؟.... توقفنا عن مشاهدة نشرة الأخبار, لكن أقمنا محطة إذاعة داخل الدير نشرة أخبار محلية. فأين إذًا حياة الغربة؟ يقول القديس برصنوفيوس: [غرباء نحن, فلنكن غرباء بالكمال][[4]](#footnote-5), الراهب الحقيقى يقول: {أنا مالى خلينى فى حالى, اللَّه يعين الجميع} لكن هذا لا يكون عن طريق العجرفة والكبرياء, بل يقول مثل إنسان مسكين "هل أنا أفهم شيئًا؟ وأنا من أفهمنى؟ أنا من أنا ومن يحسبنى شيئًا", [لا يوجد شىء أفضل من أن أرجع بالملامة على نفسى فى كل أمر][[5]](#footnote-6) و [إن كنت تقول إنك حسنًا قلت, وحسنًا فهمت... فلا حسنًا قلت, ولا حسنًا فهمت][[6]](#footnote-7).

الذات أخطر عدو

الإنسان الذى يريد السير فى الطريق الروحى **يفرح بالمحقرة**, وليس بالمديح ويقول: ذاتى هذه لابد أن تُصلب وتُذَّل لن ينفع معها إلاَّ المذّلة والمحقرة. الراهبة تدخل قلايتها حتى تكون هى سُلَّم يعقوب الذى تصعد وتنـزل عليه الملائكة والرب واقف بمجدٍ والسماء مفتوحة وتقول: {ما هذا المجد الذى أنا فيه؟ إننى لا أستطيع استيعاب كل هذه البركات السماوية التى تنحدر, إننى لا أستحق} "حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِى هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ! مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ! مَا هَذَا إلاَّ بَيْتُ اللَّه وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ!" (تك 28 : 16 , 17). **وأخطر ما يدمَّر الطريق الروحى هى "الذات",** فبدلاً من أن تعيش فى أمجاد الحياة الروحية وتحلَّق فى سماء الروح, ستعيش فى مقلاة الذات, الإنسان هو وذاته يكون الشيطان ثالثهم, بينما الإنسان الذى ذاته منسية ومتروكة يقول له السيد المسيح "الَّذِى **عِنْدَهُ وَصَايَاى وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِى والَّذِى يُحِبُّنِى يُحِبُّهُ أَبِى وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى**... إِنْ أَحَبَّنِى أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِى وَيُحِبُّهُ أَبِى وَإِلَيْهِ نَأْتِى وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو 14 : 21, 23).

تعهدات فمى باركها يا رب

من المهم أيضًا فى الطريق الروحى أن يتذكر الإنسان **الهدف** الذى خرج من أجله ويتذكر **الوعود** التى بينه وبين ربنا, فيقول له "**تعهدات فمى باركها يارب** " (مز 119 (118) : 108). لماذا خرجت من العالم؟ يا للأسف على الذين خرجوا من العالم وكسروا قلوب آبائهم وأمهاتهم؛ ولم يصنعوا ثمرةً فى طريق الرهبنة! فلماذا كان كل هذا التعب؟ هل هو مجرد عذاب لأحبائهم؟ **يجب أن يتذكر الإنسان لماذا خرج من العالم؟** الهدف لابد أن يكون واضحًا أمام عينيه باستمرار. وما هو الهدف؟ هو العشرة مع ربنا, وهو الكمال الروحى, وتنفيذ الوصية. فى تنفيذ الوصية يحتاج الراهب أن يعيش فى عشرة مع ربنا ويتذوق حلاوة الوجود فى حضرته وهذا يجعله يتحرر من الشهوات العالمية, **وتصبح شهوة قلبه دائمًا هى السيد المسيح**. لابد أن يتذكر الهدف الذى ترك العالم من أجله. هل الهدف هو لبس الملابس السوداء؟ أية إنسانة تستطيع أن تلبس ملابسًا سوداء فى منـزلها, ويقول الآباء: [إلى متى تعزى نفسك بالسواد][[7]](#footnote-8) هل الرهبنة هى الملابس السوداء؟!! يتذكر الهدف الذى خرج لأجله والتعهدات التى بينه وبين ربنا. *التعهدات الرسمية* فى الرهبنة: **الطاعة والبتولية والفقر الاختيارى**, وأيضًا *التعهدات الروحية التى فى علاقته الخاصة* مع ربنا: فهو يريد إرضاء اللَّه بكل قلبه. يريد أن يحب الناس جميعًا وينفَّذ الوصايا, ويصل إلى نقاوة القلب.

المحبة هى المقياس

الكتاب المقدس يقول: "وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِى الظُّلْمَةِ، وَفِى الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ.... **بِهَذَا أَوْلاَدُ اللَّه ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ**. كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ. لأَنَّ هَذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِى سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا... نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ **انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ.** **مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِى الْمَوْتِ. كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ**، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ" (1يو2 : 11 , 3 : 10-15).

أى لا يعزَّى الإنسان نفسه بالمعمودية ولا بالرهبنة ولا بأى شىء. لكن يوجد مقياس وضعه القديس يوحنا الحبيب فى رسالته قال "كُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ" (1يو 4 : 7) بهذا نعرف أننا وُلدنا من اللَّه **إن كنا نحب الإخوة** فالمعمودية هى الميلاد الفوقانى بلا شك, والرهبنة هى طريق الكمال الروحى والموت عن العالم, لكن رغم ذلك يقول "أَوْلاَدُ اللَّه ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ", إنها لكارثة **إن لم نكن من أولاد اللَّه, إذًا نُحسَب من أولاد إبليس والمقياس هو محبة الإخوة**. "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّى أُحِبُّ اللَّه وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِى أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللَّه الَّذِى لَمْ يُبْصِرْهُ؟.ً" (1يو 20:4).

تفصيل الوصية

مع تراكم الأيام ومرور السنين قد يحدث أن يُكوَّن كل إنسان لنفسه كيانًا خاصًا به وقلعةً حصينةً وأسوارًا يَصعُب اختراقها, وقد يشَكِّل لنفسه منهجًا روحيًا ومقاييسًا روحيةً؛ فيُفَصَّل الوصايا بدلاً من السعى فى طلبها ولا يسعى فى فهم الوصية, لكن هو الذى يخلق الوصية, ويُطَوَّعها لخدمة مفاهيمه ومقاصده وشهوات قلبه الخاصة (وصية تفصيل). مثل مَن يلبس جلبابًا دون أخذ مقاساته قبل تفصيلها فلا تعجبه, فيقول لا, أنا أريد أن يأخذوا مقاساتى قبل تفصيلها. يريد أن الوصية تُفَصَّل على مقاسه وليس بحسب مقاصد ربنا.

مدرسة المزامير

أريد أن أقول لكم بعض اللقطات من المزمور الكبير -برغم حفظكم له طبعًا- تتوافق مع هذا الخط الذى نسير فيه:

* فى القطعة الأولى يقول: "أَنْتَ أَمرتَ أَنْ تُحْفَظَ وَصَايَاكَ جدًا. فيالَيْتَ طُرُقِى تستقيم إلى حِفْظِ حقوقكَ. حِينَئِذٍ لاَ أَخْزَى إِذَا ما اطلعتُ إِلَى جميع وَصَايَاكَ" (4-6). وماذا يكون موقف من لا يحفظ الوصية؟!!
* يقول: "أَشكرُكَ يا رب بِاسْتِقَامَةِ قَلْبى, إذ عرفت أَحْكَامَ عَدْلِكَ. وحقوقكَ أَحْفَظُ." (7, 8). أثناء صلاتكم هذا المزمور فى نصف الليل اطلبوا أن يعطيكم الرب فهمًا لتنفيذ الوصية.
* فى القطعة الثانية يقول: "من كُلِّ قَلْبِى طَلَبْتُكَ. فلاَ تُبعدنِى عَنْ وَصَايَاكَ" (10). ربما أكون صنعت لنفسى (وصايا تفصيل) دون أن أدرى!
* "أْخفيتُ أقوالكَ فِى قَلْبِى لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ, مبارك أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِّمْنِى حقوقكَ. بشفتى أظهرت كل أحكام فمك, وفَرِحْتُ بِطَرِيقِ شَهَادَاتِكَ... وأتفهم فى طرقكَ.... ولاَ أَنْسَى كَلاَمَكَ" (11-16).
* فى القطعة الثالثة يقول: "كافئ عَبْدِكَ فَأَحْيَا وَأَحْفَظَ أَقوالَكَ" (17).

بمعنى أن المكافأة التى أريدها يارب هى أن أعيش فى الحياة الروحية, كيف؟ بأن أحفظ أقوالك.

* "اكْشِفْ عَنْ عَيْنَى فَأَتأمل عَجَائِبَ مِن ناموسكَ. **غَرِيبٌ أَنَا فِى الأَرْضِ**. فلاَ تُخْفِ عَنِّى وَصَايَاكَ" (18, 19). إنها لمشكلة كبيرة جدًا... إنسان يعيش هنا على الأرض تائهًا. ما مشكلة الغريب؟ مشكلته أنه يتوه لأنه لا يعرف الطريق. مثلاً راهب منكم سافر إلى الإسكندرية ولا يعرف شيئًا فيها؛ سيتوه أو يلف ثلاث أو أربع ساعات حتى يصل إلى المكان الذى يريده؛ لأنه لا يعرف الطريق, ولذلك يقول المصلى "يارب أنا غريب –تائه- فلا تُخفِ عنى وصاياك". لكن أحيانًا نجد البعض يظن فى نفسه أنه فيلسوفًا ويقول "إنى أعرف"!! راجع نفسك قليلاً أثناء صلاتك للمزمور الكبير وقل: "يارب ربما يكون فهمى للوصية خاطئًا". كثيرًا ما سمعنا عن أناس كانوا فى الطريق الروحى وضلوا لهذا السبب.
* بعدها فى القطعة الثالثة أيضًا يقول: "اشتاقَتْ نَفْسِى إِلَى اشتهاء أَحْكَامِكَ فِى كُلِّ حِينٍ. انْتَهَرْتَ الْمُتَكَبِّرِينَ, **مَلاَعِينَ, الذين حادوا عَنْ وَصَايَاكَ** " (20, 21). إنها لمصيبة؛ فقد دخلوا فى اللعنة.
* "انزع عَنِّى الْعَارَ وَالخزى فإنِّى لشَهَادَاتِكَ ابتغيت... لأن شَهَادَاتُكَ هِى درسى وحقوقك هى مَشُورَاتِي" (22-24). يقصد أن يقول: إنقذنى يارب لئلا أدخل فى اللعنة إذا لم أنفَّذ وصيتك.
* فى القطعة الرابعة يقول: "عَلِّمْنِى حقوقكَ. وطَرِيقَ عدلكَ, فَهِّمْنِى فَأُتلو فى عَجَائِبِكَ. ذبلتْ نَفْسِى مِنَ الْحُزْنِ. فثبتنى فى أقواَلكَ. طَرِيقَ الْظلم أَبْعِدْ عَنِّي" (26- 29) لأننى من الممكن أن أكون سائرًا بطريقة خاطئة.
* "وَبِناموسكَ ارْحَمْنِى. إنى اخْتَرْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ. وأَحْكَامَكَ لم أنسَ. لَصِقْتُ بِشَهَادَاتِكَ. يَا رَبُّ فلاَ تُخْزِنِى. فِى طَرِيقِ وَصَايَاكَ سعيت عندما **وسعتَ قَلْبِي**" (26-32) . ياليتك توسَّع قلبى حتى أسير فى طريق وصيتك.
* فى القطعة الخامسة: "**ضع لى يَا رَبُّ ناموسًا** فى طَرِيقَ حقوقكَ, فَأَتبعه كل حينٍ" (33). أنا أريد أن تضع لى قوانين روحية لأسير عليها؛ أنا من الممكن أن أكون بلا منهج واضح.
* "فهمنى فأبحث عن ناموسك وَأَحْفَظَهَ بِكُلِّ قَلْبِى. اهدنى فِى سَبِيلِ وَصَايَاكَ فإنِّى إياها هويتُ" (34-35). آه, لقد تذكرت أننى قد خرجت من العالم؛ لكى أكمل الوصية.

الكنيسة وضعت لنا هذا المزمور فى صلاة نصف الليل كل يومٍ؛ لكى يفيق كل أحدٍ لنفسه, ويتذكر أنه خرج من العالم حتى يسعى نحو الكمال فى تنفيذ الوصية, وليس الوصية كما يخططها هو, ويفصلها ويبرمجها, ولكن الوصية كما يريده اللَّه أن يحياها.

محبتنا لله تزيدنا حكمة

يقول السيد المسيح "اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ" (مت 7:7). فلماذا يقول اسألوا تعطوا, إذا كنا نعرف كل شىء فلماذا نصلى إذًا! ولذلك معلمنا بولس الرسول يقول "وَهَذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِى الْمَعْرِفَةِ وَفِى كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَى تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِى بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللَّه وَحَمْدِهِ" (فى 1: 9-11). شىءٌ عجيبٌ جدًا, أنه عندما تزيد محبتهم لربنا سيعرفوا أن يميزوا الأمور المتخالفة؟ فما علاقة زيادة الحب بموهبة الإفراز والتمييز؟

فى الطريق الروحى ننمو فى محبة اللَّه, وكلما تزداد محبتنا لله كلما تزداد معرفتنا عنه. لأن السيد المسيح قال "الَّذِى عِنْدَهُ وَصَايَاى وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِى والَّذِى يُحِبُّنِى يُحِبُّهُ أَبِى **وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي**" (يو 14 : 21). فكلما زادت محبتنا له كلما استطعنا تنفيذ الوصية, وكلما استطعنا تنفيذ الوصية يظهر لنا ذاته أكثر وهذه هى العلاقة بين زيادة المحبة وزيادة المعرفة "الذى أحبه أظهر له ذاتى" وعندما يُظهر لنا ذاته سنـزداد فى معرفته, وهو الحكمة المولود من الآب الحكيم, وهذا لقبه فكلما نزداد فى معرفة السيد المسيح نزداد فى معرفة الحكمة, وفى موهبة التمييز والإفراز, لأنه لابد من وجود نمو فى الطريق الروحى. فحينما يقول "اسألوا تعطوا". أى لابد أن نأخذ معرفة لوصايا ربنا أكثر, ولابد أن نأخذ معرفة للكمال أكثر.

* ولذلك عندما يقول فى القطعة الرابعة عشر "تعهداتِ فَمِى باركها يَا رَبُّ وَأَحْكَامَكَ عَلِّمْنِى. **نَفْسِى فِى يديك كل حين** وناموسكَ لَمْ أَنْسَ" (مز 119(118) :108, 109). أنا نفسى فى يديك شكلها حسبما تريد أنت وليس حسبما أريد أنا.

الاشتعال المستمر بالحب الإلهى

بداية الطريق الروحى هى بداية طريق الكمال, لكن ما هى الفائدة أن تكون البداية قوية ولا تستمر وتضعف مع مرور الأيام؟! فكيف إذًا نجعلها لا تضعف؟ معروف أن كل الذين خرجوا للرهبنة فى بداية الأيام الأولى كان عندهم غيرة قوية "قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ **غَيْرَةَ صِبَاكِ مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ** ذِهَابَكِ وَرَائِى فِى الْبَرِّيَّةِ فِى أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ" (أر 2:2).

**كيف نحافظ على هذه الغيرة الروحية؟**

**بمعرفة قيمة صلاة المزامير.** فإذا كان الراهب قانونه هو المزامير, فلابد عندما يصليها أن يجعلها تصبح هى **درب السماء** ويجعلها هى **سُلَّم يعقوب**, والوسيلة التى تزداد بها حياته فى القوة باستمرار, ويكون فيها نمو. ولكن للأسف أحيانًا نجد من يعتبر أن قانون المزامير هو ثِقَل عليه وكل فترة يقول: أريد حِلاً عن الفترة السابقة؛ لأنى لم أنتهى فيها من قوانينى ويفتح حساب جديد. هل القوانين ثِقل عليه؟ أم هى **فيتامينات الحياة الروحية**, هى **ينابيع الماء الحى** التى يرتوى منها, وسر قوة الحياة فى هذا الطريق.

وهناك مَن يحفظ المزامير عن ظهر قلب بدون فهم لما يقوله, ويفرح جدًا لأنه انتهى من قانونه! أين مَن يتمسكن ويتوسل أمام اللَّه! المزامير هى **مفاتيح السماء ومفاتيح حضور ربنا فهى صلوات موحى بها من اللَّه**. وهو يقول: أعطيتكم هذه المزامير؛ حتى تصلوا لى بها؛ لأنها هى الصلوات التى عندما تُقال بفهم وعاطفة وحب, تجعلنى أسكب نعمتى فيكم بغزارة.

لهذا فنصيحتى للأخوات الجدد فى الدير أنهن لا ينظرن إلى قوانينهن من المزامير على أنها ثِقَل, ولكنها هى الوسيلة التى بها تستمر غيرتهن المقدسة, والتى بها يزدادون أكثر فأكثر فى المحبة والمعرفة والفهم حتى يميزوا الأمور المتخالفة.

احفظوا المزامير تحفظكم المزامير

ممكن أقترح على الرهبان والراهبات أن يكتبوا المزمور الكبير على لوحات؛ كل قطعة فى لوحة ويعلقونها على كل جدران القلاية –الاثنتان وعشرون قطعة- جربوا هذا الاقتراح وسترون النتيجة. عندما تنظر فى هذه الجهة فى القلاية تجد "مِن كُلِّ قَلْبِى طَلَبْتُكَ. فلاَ تُبعدنِى عَنْ وَصَايَاكَ " (آية 10), فتقول: هل أنا حقًا ترضيت وجهك بكل قلبى أم لا؟, وتنظر فى الجهة الأخرى فتجد "سمر خوفك فى لَحْمِي فلا أخطئ إليك" (120), وتنظر فى الناحية الثالثة وتجد "لِكُلِّ تمَام رَأَيْتُ منتهى, أَمَّا وَصِايَّاكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا" (96).

قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الرب حياته- دائمًا يقول: [احفظوا المزامير تحفظكم المزامير]. مهم جدًا أن نقول المزامير والتسبحة بعاطفة وفهم؛ لذلك عندما أحضر تسبحة وأجدهم يقولونها بسرعة أتعجب وأقول: يا رب لماذا يتعبون أنفسهم؟ هل هو مجرد واجب نؤديه أم هو غذاء روحى نتمتع به؟! هل نحن نشعر بحلاوة التسبيح ونغنى للرب أغنية جديدة؟ إن كان هذا الكلام يقال لعامة المؤمنين فى (كو 3) "وَلْيَمْلِكْ فِى قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللَّه الَّذِى الَيْهِ دُعِيتُمْ فِى جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ. لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنىً، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ **وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِى رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِى قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ.** وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللَّه وَالآبَ بِهِ" (كو 3 :15-17)[[8]](#footnote-9). فكم يكون بالنسبة للرهبان الذين تفرغوا لحياة الصلاة والتسبيح!

الطاعة للمرشد الحكيم

من ضمن الأمور الهامة فى الطريق الروحى أن الإنسان أيضًا يحـتاج إلى **إرشاد,** لأن [الذين بلا مرشد كأوراق الشجر يسقطون][[9]](#footnote-10). فى حياة الرهبنة يحتاج الإنسان إلى إرشاد من شخصية روحية مختبرة إلى جوار وجود أب الاعتراف (الذى لا يمنع وجوده وجود مرشد روحى للراهب ومرشدة روحية للراهبة). الإرشاد الروحى يضيف إلى خبرة الإنسان فى طريقه الروحى, أى أن **من يسلك بإرشاد يضيف إلى عمره الروحى أعمارًا أخرى,** مثلما يُقال كثيرًا جدًا فى بستان الرهبان "سأل أخ شيخًا....", وتكلم البستان عن النعمة الكبيرة التى ترافق تلميذ ساكن فى طاعة معلمه. وفى طقس رسامة الرهبان يقال له فى الوصية **"تطيع مرشدك فى طريق اللَّه إلى حد الموت".** ويقـول الآباء: [ لست أعرف للراهب سقطة إلا إذا صنع هواه, فإذا نظرت راهبًا قد سقط فاعلم أنه بهواه لأنه فعل برأى نفسه][[10]](#footnote-11). لذلك فمن أهم المبادئ فى بداية الطريق الروحى فى الرهبنة هو: **قطع الهوى (قطع المشيئة).** وطبعًا السيد المسيح قدم لنا مثالاً رائعًا فى حياة الطاعة؛ فى صلواته وفى تصرفاته حتى يرسم لنا طريق الخلاص "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا **تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ** مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب 5 :8).

موضوع الإرشاد الروحى والطاعة موضوع طويل ممكن أن يكون له مجالاً آخر ولكننى أردت التنويه عنه فيما نتكلم عن بداية الطريق الروحى وكيف يستطيع الإنسان أن يحتفظ بقوة الدفعة الأولى لكى تستمر, أحببت أيضًا أن أوضح أن الطريق الروحى يحتاج إلى إرشاد؛ لأنه "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (أم 14 :12). ويقول الكتاب المقدس "**أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَى يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ**، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" (عب 13 :17).

لكن المفروض طبعًا أن المرشد يرشد الإنسان فى وصية الرب وليس ضد الوصية "ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ **فِى الرَّبِّ** وَيُنْذِرُونَكُمْ" (1تس 5 :12)؛ لذلك اختيار المرشد يحتاج إلى حكمة [اختبر مرشدك أولاً بحكمة وتجربة لئلا تقع عند مريض بدل طبيب][[11]](#footnote-12) فقبلما يختار إنسان مرشده الروحى لابد أن يشعر أنه فعلاً طبيب روحانى وليس بمريض يُسْقِم حياته الروحية.

ولإلهنا المجد دائمًا أبديًا.آمين.

1. نص مزامير السواعى والرقم بين القوسين من الأجبية. [↑](#footnote-ref-2)
2. **2.بستان الرهبان, الطبعة السابعة, دار الجيل للطباعة, بنى سويف 1977, ص179.** [↑](#footnote-ref-3)
3. 3-بستان الرهبان, مطرانية بنى سويف, الطبعة الثانية, ص31. [↑](#footnote-ref-4)
4. 4- بستان الرهبان, الطبعة الثانية, ص 160. [↑](#footnote-ref-5)
5. 5- بستان الرهبان, ص 321.

   6- بستان الرهبان, ص 366. [↑](#footnote-ref-6)
6. [↑](#footnote-ref-7)
7. 7- الشيخ الروحانى" مار يوحنا سابا", للقس أغسطينوس البراموسى, ص 94. [↑](#footnote-ref-8)
8. 8- طبعًا كلمة اللَّه والآب لا تعنى أن كلاً منهما شىء وحده؛ لكن يقصد باسم الرب يسوع شاكرين اللَّه الذى هو نفسه الآب؛ مثلما أقول ربى وإلهى, معلمى ومرشدى, لا تعنى أن واحدًا معلمى والثانى مرشدى لكن اللَّه هو هو الآب. [↑](#footnote-ref-9)
9. 9- سمو الرهبنة, الأنبا متاؤس, ص 263. [↑](#footnote-ref-10)
10. 10- بستان الرهبان, ص 317. [↑](#footnote-ref-11)
11. 11- بستان الرهبان, ص 181. [↑](#footnote-ref-12)